الآخرة الا نفر قليل كابراهيم بن أدهم (رحمه الله تعالى) وأكثر المتحلين بالتصوف المدعين الاعراض عن الدنيا للتقرب من رضوان الله تعالى كانوا ومازالوا يطلبون الدنيا بهذه الاعمال لانهم وجدوها أقوى ذريعة للمال والجاه وهم في هذا أبعد عن الزهد الحقيقي من الاغنياء لان الزهد عمل قلبي كما سنوضحه بعد . وقد فضحهم الائمة المحققون في التصوف كالغزالي وغيره فكيف تقول إن ذلك أضر بالمسلمين ؟

والجواب عن هذا واضح وهو على وجهين (أحدهما) أن من مضرته وجود الالوف من رجال الدين عباداً وعلماء لاعمل لهم وانما يعيشون عالة على الناس ومن الخلفاء الراشدين من كان صانعاً ومنهم من كان تاجراً . وما النكايا التي أحدثها المسلمون الا كالاديار عند المسيحيين ، ولكنهم لا يوجبون على من دخلها أن يكون راهبا طول حياته و (ثانيهما) أن المضرة قد ظهر أثرها في مجموع الامة فملا حتى هبطت من الاوج الى الحضيض . وهكذا شأن التعاليم النافعة والمضرة لا يعرف تأثيرها الا بمثل ذلك . وان شئت تعليلا عقليا يثبت لك تأثير الغلو في التزهيد باسم الدين على ما فيه من مخالفة سنن الفطرة فتأمل في حال كل من يعمل عملا تقتضيه الطبيعة والفطرة اقتضاء حتما أو غير حتم وهو يعتقد سوء مغبته تجده في عمله ضعيفا لا يبلغ الغاية منه . أنظر لمن يحمله الغضب على الضرب وهو يخاف الله أو عقوبة الحاكم كيف يكون ضربه دون ما تبلغه قوته لولا ذلك الخوف وربما يكون في وقت الضرب ناسيا لمراقبة الله وغير متفكر في عقوبة الحكومة ولكن نسيان ما انطوت عليه النفس وعدم ملاحظته والتفكر فيه لا يبطل أثره . وتأمل كيف ان العرب ما أتقنوا فن الموسيقى في أيام حضارتهم مع اشتغالهم به مجاراة للطبيعة الميالة اليه ، وما ذلك الا لان فقهاءهم يذمونه ويحرمون بعض آلاته

باب التربية والتعليم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(٧) من هيلانه الى أراسم في ٣ ابريل ـ سنة ـ ١٨٥

قد أتاني السيد ... بشيء من أخبارك بعد طول تطلعي اليها فاطمأن قلبي قليلا

بما قاله لي عنك وزال بعض ما كنت أجده من الجزع عليك

لا يخطرن ببالك أني نسيت ما تلقيته من نصائحك وتعاليمك في تربية (أميل) فأني باذلة قصارى جهدي في تعريفه بما حوله من الاشياء. وفي هذا المقام أقول إني أحسبني قد تبينت أن فتور مشاعر الطفل ينشأ من عدم التفاته الى المحسوسات أكثر من حدوثه من ضعف تلك المشاعر فان في قدرته أنه يدرك أصوات كثير من الاشياء الخارجة وألوانها تمام الادراك لو أراد أن يكلف نفسه الاصغاء والنظر اليها ولكن لما كانت هذه الاشياء لا تستميله كان يغفلها اغفالا كليا. وجملة القول في ذلك أنه لا يصر له ولا سمع الا فيما يحب إبصاره وسماعه، واذا كان هذا شأنه فكيف السبيل الى معرفة ما يروقه من الاشياء وما لا يروقه؟ اني أعترف وأنا صاغرة بأني كثيرا ما أخطأت في استعراف تلك الاشياء فليس كل ما أختبره منها لتنشيط حاسة اللمس في (أميل) يحب أن يجيل فيه يديه الصغيرتين. ثم إن أبهى الالوان وأجملها في نظري تمر أمام عينيه مرور الظلال فلا تستلفته أقل استلفات وأنا أظن أننا معشر الامهات مدفوعات في هذا الامر وفي غيره الى احلال أذواقنا محل أذواق الاطفال.

ان جورجيا وهي أقل مني ارتياضا بالعلم لانضج مني أغلب الاحيان في سياسة (أميل) فانها تجد بغريزتها ما يعجبه ويسليه وينبه قوة الاستطلاع فيه، وربما كانت تستعرف رغائبه فتسعى في تحصيلها له. وسبب ذلك أنها كما تعلم قد كانت والدة لثلاثة أولاد حرمها منهم الرق على التعاقب ولا تدري أين هم الآن، فلا بدع إذن في شدة تعلقها بأميل ومحبتها له، وإني لفي وجد عليها من حبها إياه اكثر مني، وحاشا أن يكون ذلك حسداً فانه مستحيل. وانما الذي أحسدها عليه هو قدرتها على أن تكون طفلة مع الطفل، فهل هذا هو الذي تعنيه بكلامك في استعداد المرأة الزنجية للامومة؟ ليت شعري هل تصدق أن أميل قد صار من أصدق التابعين لزورواستر (١) أعني أنه يعبد الشمس؟ من أجل أن تعتقد ذلك ينبغي أن تراه

(١) زورواستر هو شارع ديني للامم البكترية. وهم سكان قسم من آسيا كان يدعى قديما بكتريانيا وهو الآن تركستان وهذا الرجل هو المؤسس للديانة البرسية التي تدعو الآخذين بها للاعتقاد باصلين وهما الضياء والظلام أو منشآهما وروحا =

لتنظر كيف يبسط ذراعيه الى ضيائها فرحا برؤيته .

كان الشتاء عندنا في غاية السهولة فلم ينزل فيه الثلج الا مرتين على أنه كان فيها يذوب بمجرد ملامسته الارض ولا تزال الاشجار مجردة من أوراقها فالريف العاري من الخضرة كالبيت الخالي من الفراش والاثاث ولكن نفحة من الحياة انشأت تدب وتسري في مادة الكون جميعه وان تلبث ان تملا ما خلفه الفصل المنقضي من الفراغ وقد امست الآصال عندنا في غاية الصفاء واللطف ولذلك ترى (اميل) اذا رأى الجو صحواً أبدى من القلق ما يدل على رغبته في أن يحمل الى الحديقة

ولما كانت الشمس في (كورنواي) خصوصاً زمن الربيع لا ضرر فيها على أحد بل إنها تلائم الاطفال والشيوخ اعتادت جورجيا ان تفرش سجادة على الحشيش الجاف وتجلس عليها (اميل) ليلعب ويمرح كما يشاء ولما رأيته يعتمد علينا في حراسته مدة وجودنا معه قصدت أن اعلمه شيئا من الثقة بنفسه والارتكان عليها فأوعزت الى جورجيا بالتنحي عنه واختفيت عن بصره انا ايضا من غير ان يغيب عن عيني فلاحظت انه في مبدأ الامر خاف عند ما فكر في وجود وحيدا وابدى بعض القلق لكنه ما لبث ان تشجع وقوي قلبه فكنت حينئذ أراه يفتح عينيه ويلتفت الى كل ما يحول حوله ويحرك يديه الصغيرتين كأنه يذود ذبابة تطن فوق رأسه فأخذت على نفسي من هذا الوقت ان اكف عنه مراقبتي حينا بعد حين حتى اذا أحس بقلة حمايتي له تعلم كيف يستغني عن مساعدة غيره .

إني كلما فكرت في فروض الامومة بدا لي منها معنى قلما يشابه ما يفهمه غيري من النساء فأني ارى انه من الواجب علي بمجرد ان يكبر (اميل) أن احرم نفسي من لذة مكالمته في كل وقت بأني مهتمة به لان اكبر شيء يعيق نمو المشاعر في بعض الاطفال ويعطل استقرار طباعهم انما هو فيما ارى طريقة القائمين عليهم في تربيتهم فانهم بكثرة حياطتهم اياهم بضروب من العناية البالغة غايتها من الظهور والناشئة عن فرط الاهتمام بهم يعودونهم على ان يعيشوا غير مهتمين بأنفسهم . فان الطفل اذا كان

= الخير والشر ويسمى الاول (اورموزد) والثاني (اهريمان) او (اهرمن) وهذا هو اصل مذهب المانوية

غنيا متمجرفا كيف يتكلف إهمال ملكة الاحتفاظ بنفسه كلا بل يكون شأنه مع نفسه كملوك الشرق الحمقى الذين يهون عليهم أن يسموا مشيري دولهم ابصارهم واسماعهم، طمية بذلك نفوسهم ،لانه يعتاد على أن يستعين في إبصاره وسماعه بالمربيات القائمات عليه المكلفات بخدمته وتعرف حاجاته لقضائها ،فماذا يكون حال هذا الطفل المبالغ في حفظه اذا رأى نفسه يوما ما بعد ان كان محوطا بأمتن أسباب الوقاية قد خلي بينه و بين أقل خطر يلم به ؟ لا شك أنه يكون أسوأ الناس حالا ، وأكسفهم بالا ، بل يكون هو الشخص الذي يحكى عنه أنه كان يخاف من خياله

إن (اميل) يدعوني بأفعاله وأحواله الى التفكر في كل شيء . فقد ذكرني بالامس شخصا من المذكورين في أساطير الاقدمين، ذلك أن الاطفال لاحساب للمسافات عندهم وهذا الامر فيهم منشأ لكثير من الاغاليط البصرية الكثيرة، فقد كنت في الحديقة وكانت جورجيا واقفة في احد شبابيك المنزل المشرفة على مكاني وهو على يدها فلم يكن الا أن رآني حتى بدت عليه علائم الابتهاج ومد الي يديه كالجناحين على ان الشباك الذي كان فيه هو في الطبقة الاولي من البيت فلما لم تصل الي يداه ظهر عليه الانده اش ثم أفضى به الامر الى أن غضب واحمر وجهه ،والذي كان يبتغيه مني بحسب ما يحلو لي اعتقاده هو ما أبديه له من صنوف الملاطفة والمداعبة ، بل كان يريد أيضا التقام ثديه لانه لم يكن رضع من بضع ساعات فلم يكن لهذا المحبوب المسكين مثيل في عذابه هذا الاطانتال (١)

أأكون واهمة ان قلت أن اميل قد عرفك بل إنه قد عرف صورتك التي أريه إياها ذاكرة له اسمك. انا لا اعتقد أن هذا وهم فاني بحملقته في مثالك وابتسامه له ومده يديه نحوها إخاله قد عرف والده تخمينا

---

(١) طانتال في اساطير الاقدمين هو ملك فريجيا التي هي قطر من اقطار آسيا الصغرى وكان قدم للالهة اشلاء اولاده طعاما فعوقب بالجوع والعطش في جهنم و يضرب بعذابه المثل فيقال فلان يعذب عذاب طانتال اذا كان على الدوام يعتقد انه قد صار من رغائبه بمكان اللامس وهو في الحقيقة عاجز عن ادراكها .